الجانب الفقهى والتشريعى للإستنساخ

دراسة فقهية مقارنة

إعداد

الأستاذ الدكتور

سعد الدين مسعد هلالى

أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون

معار حاليا إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

"رب يسر وأعن"

مقدمة البحث

"الجانب الفقهى والتشريعى للاستنساخ"

نجح علماء الوراثة والهندسة الوراثية والبيولوجية الجزيئية فى خطف أنظار العالم والتأثير فى الرؤية المستقبلية لإنسان هذا العصر، بعد أن تطورت أبحاثهم وتقدمت تقدماً مذهلاً، فأصبح من اليسير إجراء تحليل لأية خلية بشرية ولو كانت مشتقة من عظم أو شعر أو جلد أو من تلوثات دموية أو منوية أو لعابية-حديثة أو قديمة- كاللعاب الذى ألصق به طابع بريد منذ بضع سنوات، أصبح بالإمكان تحليل ذلك والتعرف على صاحبه بصفاته الذاتية التى تحدد شخصيته، وبصفاته المرجعية التى تعين شخصيات الوالدين والأولاد.(١)

كما أصبح من اليسير التنبؤ بما سيصيب الإنسان من مرض معين فى وقت معين أو قريب منه، بل من الممكن تغيير بعض الصفات الوراثية فى الإنسان مما قد يؤدى إلى كثير من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية.

وما عملية الإستنساخ للنعجة دوللى التى أثارت جدلاً قوياً فى الأوساط العلمية والعالمية إلا نموذجاً لبيان مدى تأثير علماء الوراثة والهندسة الوراثية والبيولوجية فى مستقبل إنسان هذا العصر، حتى قال العالم البيولوجى"فرانسوا جاكوب" الحاصل على جائزة نوبل:"ستجعلنا النعجة دوللى نضع أسساً جديدة فى علم الأجنة"(٢).

---

(١) عالجت هذا الحدث العلمي من الناحية الشرعية في كتابنا« البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية» بحث مدعوم مقدم لجامعة الكويت ١٩٩٩ م.

(٢) استنساخ الإنسان حياً وميتاً للدكتور سينوت حليم دوس ص٢٧.

هذا، وقد حدث فى السابع والعشرين من شهر فبراير ١٩٩٧م أن نشرت مجلةNature(الطبيعة) ذائعة الصيت والسمعة العلمية فائقة الدقة: أن عدداً كبيراً من الباحثين الحاصلين على جائزة نوبل نشر لأول مرة فى هذه المجلة تقريراً علمياً لفريق بحث سكوتلندى فى معهد"روزلين" بقيادة"إيان ويلموت"، يعلن عن ولادة أول كائن حى من الثدييات(الحيوانات اللبونة) بالاستنساخ، كما أن المجلة خصصت غلافها لصورة هذا الكائن الذى هو نعجة سكوتلندية أطلق عليها هذا الفريق العلمى الإسم"دوللى"Dolly تيمناً بالنجمة الأمريكية الذائعة الصيت دوللى بارتونDolly Parton عملاقة الغناء الريفى، وكان عمر تلك النعجة آنئذ أقل من ثمانية أشهر حيث ولدت فى الخامس من يوليو ١٩٩٦م.

وفى الأسبوع الأول من مارس ١٩٩٧م عقد هذا الفريق مؤتمراً صحفياً أعلنوا فيه على العالم تفاصيل نجاحهم فى هذا الحدث العلمى الخطير بين آلاف المصورين والإعلاميين فى الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية.(١)

اهتز العالم لهذا النبأ فى ذهول، وسرعان ما ظهرت علامات الاستفهام عن مستقبل الإنسان وأحلامه وتوجساته.

واستثار هذا الرعب هلعاً قوياً فى الأوساط الرسمية والدينية، دفع ببرلمان النرويج مثلاً أن يقترع على قانون يحرم الاستنساخ البشرى وكذلك استنساخ الكائنات الحية الراقية بأغلبية ٨٨ صوتاً مقابل صوتين فقط عارضا تشريع هذا القانون. كما أن البرلمان فى مدينة ستراسبوج(ويضم أعضاء منتخبين يمثلون دول الاتحاد الأوربى الخمس عشرة) طلب إلى دوله سن قوانين تحرم الاستنساخ البشرى.(٢)

كما شكل الرئيس الأمريكى كلينتون لجنة أسماها"اللجنة القومية للمبادئ فى الموضوعات الحيوية" لدراسة الموضوع باستفاضة والتحدث فيه أمام الكونجرس، كما أنه

(١)بيولوجيا الاستنساخ للدكتور/ هاني رزق- دار الفكر دمشق ص١٥، الاستنساخ بين العلم والدين، للدكتور/ عبد الهادي مصباح ص٥.
(٢) د. هاني رزق ص١٦.

أوقف تمويل كل البرامج الحكومية التى تسير فى سكة الاستنساخ البشرى.(١)

وفى ندوة عقدت فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة فى أول يونيو ١٩٩٧م بعنوان"الاستنساخ.. رؤية شرعية" أعلن الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف والدكتور نصر فريد مفتى الجمهورية ضرورة حظر الاستنساخ فى مجال البشر سداً للذرائع ولثبات المفاسد المترتبة عليه كاختلاط الأنساب واختلال العلاقات القانونية والاجتماعية، وانهيار مؤسسة الأسرة ونظام الزواج، والنزوع إلى النمطية والتماثل، وحرمان البشر من الأسلوب الطبيعى للاستخلاف، فضلاً عن استخدام الاستنساخ فى أغراض سياسية واجتماعية مشبوهة.

كما أعلن بابا الفاتيكان يوحنا الثالث استنكاره لهذه التجارب ورفض تطبيقها على الإنسان نهائياً باعتبارها تدخل فى إرادة الله، كما أعلن البابا شنودة أنه ليس ضد العلم والتقدم العلمى ولكن ما يمس الإرادة الإلهية مرفوض.(٢)

وفى مقابل هذا الرعب والخوف كان الأمل والحلم فى نجاح العلم أن يجعل الزوجة تنجب من زوجها العقيم ويحل مشاكل الحمل الجنسى، أو أن تنجب من زوجها نسخاً أخرى خاصة إذا كان أحد عباقرة عصره.

ورغم المحاذير والمخاوف من تجارب الاستنساخ البشرى فإن طموح العلم وفضولية الباحثين فى المعرفة لن تثنيهم عن استمرارهم فى طريقهم البحثى وسيفاجأ العالم بالاستنساخ البشرى كما فوجئ بالاستنساخ الحيوانى، فهناك من يعمل الآن على قدم وساق ويجد من أجل استنساخ البشر، ومنهم الدكتور"ريتشارد سيد" فى أمريكا والذى أعلن أنه ينوى أن يستنسخ صورة طبق الأصل من نفسه، وكذلك الطبيب الإيطالى"سيفرينو أنتنيورى" وهو أحد العلماء البارزين فى مجال الإخصاب وعلم الأجنة والذى أعلن عن عزمه استنساخ البشر بنفس طريقة استنساخ النعجة"دوللى" لكى يتمكن أولئك الذين حرموا من الإنجاب من تحقيق حلم حياتهم فى أن يكون لهم ذرية وأولاد، وكان هذا الطبيب قد استطاع تحقيق حلم الأمومة لسيدة بلغت من العمر

(١)د. عبد الهادي مصباح،ص٨.
(٢) د. عبد الهادي مصباح، ص٧،٨.

هذا، وقد حدث فى السابع والعشرين من شهر فبراير ١٩٩٧م أن نشرت مجلةNature(الطبيعة) ذائعة الصيت والسمعة العلمية فائقة الدقة: أن عدداً كبيراً من الباحثين الحاصلين على جائزة نوبل نشر لأول مرة فى هذه المجلة تقريراً علمياً لفريق بحث سكوتلندى فى معهد"روزلين" بقيادة"إيان ويلموت"، يعلن عن ولادة أول كائن حى من الثدييات(الحيوانات اللبونة) بالاستنساخ، كما أن المجلة خصصت غلافها لصورة هذا الكائن الذى هو نعجة سكوتلندية أطلق عليها هذا الفريق العلمى الإسم"دوللى"Dolly تيمناً بالنجمة الأمريكية الذائعة الصيت دوللى بارتونDolly Parton عملاقة الغناء الريفى، وكان عمر تلك النعجة آنئذ أقل من ثمانية أشهر حيث ولدت فى الخامس من يوليو ١٩٩٦م.

وفى الأسبوع الأول من مارس ١٩٩٧م عقد هذا الفريق مؤتمراً صحفياً أعلنوا فيه على العالم تفاصيل نجاحهم فى هذا الحدث العلمى الخطير بين آلاف المصورين والإعلاميين فى الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية.(١)

اهتز العالم لهذا النبأ فى ذهول، وسرعان ما ظهرت علامات الاستفهام عن مستقبل الإنسان وأحلامه وتوجساته.

واستثار هذا الرعب هلعاً قوياً فى الأوساط الرسمية والدينية، دفع ببرلمان النرويج مثلاً أن يقترع على قانون يحرم الاستنساخ البشرى وكذلك استنساخ الكائنات الحية الراقية بأغلبية ٨٨ صوتاً مقابل صوتين فقط عارضا تشريع هذا القانون. كما أن البرلمان فى مدينة ستراسبوج(ويضم أعضاء منتخبين يمثلون دول الاتحاد الأوربى الخمس عشرة) طلب إلى دوله سن قوانين تحرم الاستنساخ البشرى.(٢)

كما شكل الرئيس الأمريكى كلينتون لجنة أسماها"اللجنة القومية للمبادئ فى الموضوعات الحيوية" لدراسة الموضوع باستفاضة والتحدث فيه أمام الكونجرس، كما أنه

(١)بيولوجيا الاستنساخ للدكتور/ هاني رزق- دار الفكر دمشق ص١٥، الاستنساخ بين العلم والدين، للدكتور/ عبد الهادي مصباح ص٥.
(٢) د. هاني رزق ص١٦.

أوقف تمويل كل البرامج الحكومية التى تسير فى سكة الاستنساخ البشرى.(١)

وفى ندوة عقدت فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة فى أول يونيو ١٩٩٧م بعنوان"الاستنساخ.. رؤية شرعية" أعلن الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف والدكتور نصر فريد مفتى الجمهورية ضرورة حظر الاستنساخ فى مجال البشر سداً للذرائع ولثبات المفاسد المترتبة عليه كاختلاط الأنساب واختلال العلاقات القانونية والاجتماعية، وانهيار مؤسسة الأسرة ونظام الزواج، والنزوع إلى النمطية والتماثل، وحرمان البشر من الأسلوب الطبيعى للاستخلاف، فضلاً عن استخدام الاستنساخ فى أغراض سياسية واجتماعية مشبوهة.

كما أعلن بابا الفاتيكان يوحنا الثالث استنكاره لهذه التجارب ورفض تطبيقها على الإنسان نهائياً باعتبارها تدخل فى إرادة الله، كما أعلن البابا شنودة أنه ليس ضد العلم والتقدم العلمى ولكن ما يمس الإرادة الإلهية مرفوض.(٢)

وفى مقابل هذا الرعب والخوف كان الأمل والحلم فى نجاح العلم أن يجعل الزوجة تنجب من زوجها العقيم ويحل مشاكل الحمل الجنسى، أو أن تنجب من زوجها نسخاً أخرى خاصة إذا كان أحد عباقرة عصره.

ورغم المحاذير والمخاوف من تجارب الاستنساخ البشرى فإن طموح العلم وفضولية الباحثين فى المعرفة لن تثنيهم عن استمرارهم فى طريقهم البحثى وسيفاجأ العالم بالاستنساخ البشرى كما فوجئ بالاستنساخ الحيوانى، فهناك من يعمل الآن على قدم وساق ويجد من أجل استنساخ البشر، ومنهم الدكتور"ريتشارد سيد" فى أمريكا والذى أعلن أنه ينوى أن يستنسخ صورة طبق الأصل من نفسه، وكذلك الطبيب الإيطالى"سيفرينو أنتنيورى" وهو أحد العلماء البارزين فى مجال الإخصاب وعلم الأجنة والذى أعلن عن عزمه استنساخ البشر بنفس طريقة استنساخ النعجة"دوللى" لكى يتمكن أولئك الذين حرموا من الإنجاب من تحقيق حلم حياتهم فى أن يكون لهم ذرية وأولاد، وكان هذا الطبيب قد استطاع تحقيق حلم الأمومة لسيدة بلغت من العمر

(١)د. عبد الهادي مصباح،ص٨.
(٢) د. عبد الهادي مصباح، ص٧،٨.

٦٢ عاماً لتصبح أكبر أم، وذلك سنة ١٩٩٤م. كما أعلن البروفيسور "أنتنيوري" أنه سوف يضطر لمغادرة إيطاليا والذهاب إلى أى مكان على الكرة الأرضية لينفذ فكرته الجريئة، لأن القوانين فى إيطاليا تجرم تجارب استنساخ البشر.(١)

ومع هذا العزم والإصرار من علماء الاستنساخ ترتفع صيحات المصلحين والمعتدلين والمنصفين بضرورة إنشاء قسم أو تخصص أو فرع للقضايا البيوأخلاقية فى كليات الطب بجامعات الدول العربية والإسلامية، لاسيما وأن مثل هذه الأقسام أو الفروع العلمية قد أنشئت فعلاً فى بعض الدول غير الإسلامية من العالم المتقدم تكنولوجيا، ويختص هذا القسم بدراسة الأبعاد الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية للمسائل العلمية والطب البيولوجى وكافة الاتجاهات المختلفة للتقدم التكنولوجى المعاصر، فأغلب المشكلات، إن لم يكن كلها، ليست فى جوهر العلوم، وإنما فى أخلاقيات هذه العلوم.(٢)

وكان أول من نادى بضرورة أن يحاط الإنتاج البحثى بقواعد الأخلاق هو البروفسور جيمس واطسن، وهو من كبار العلميين الأمريكيين الأكثر حساسية للمخاطر البوجينية، فقد نشر عام ١٩٧١م بمجلة أطلانطيك مقالة بعنوان "التحرك إلى الإنسان المكلون" محذراً من أنه لا يجوز للمجتمع أن يترك للعلماء وحدهم اتخاذ القرار بالنسبة لتكنولوجيات التكاثر الجديدة، مثل أطفال الأنابيب، وأنه من الأفضل للمجتمع أن يشجع جدلاً واسعاً حول التضمينات الاجتماعية للعلم، فقد يواجه باحتمال "أن تضيع منا يوماً ما فجأة حريتنا فى الاختيار".

وعندما تم اختيار واطسن رئيساً للمكتب الجديد لبحوث الجينوم صرح فى المؤتمر الصحفى الذى عقد عام ١٩٨٨م وأعلن فيه تنصيبه رئيساً للمشروع، صرح أنه لابد من أن ينفق بعض من ميزانية مشروع الجينوم فى معالجة التضمينات الاجتماعية لهذا العمل، ثم أعلن فيما بعد أنه سيخصص لمثل هذه الأنشطة ٣٪ من ميزانية

(١) د. عبد الهادي مصباح، ص٢٠١.
(٢) دكتور كارم السيد غنيم، الإستنساخ والإنجاب، ص٥.

المشروع(١).

من كل ما سبق يتضح أن "حادثة الاستنساخ حادثة هامة جدا على جميع الأصعدة، وتستحق الدراسة والتمحيص الدقيقين، وهذا ما نأمله فى ساحتنا الفكرية والعلمية، متمنين ألا يكون افتقادنا للمخابر العلمية سبباً من أسباب اللامبالاة، إذ من الضرورى جدا بناء موقف علمى تجاه العلم بحد ذاته"(٢)

ومن جانبنا، وعلى ضوء ما سبق يتضح مدى أهمية وضرورة البحث من الناحية الشرعية، وماذا لو ولد إنسان بطريقة الاستنساخ؟ إلى من ينسب، وما حقوقه الشرعية؟

وقد تناولت هذا الموضوع الشائك والمهم فى خطة تتكون من فصل تمهيدى وبابين وخاتمة.

الفصل التمهيدى تحت عنوان: الإسلام وحدث الاستنساخ.

والباب الأول تحت عنوان: الجانب الفقهى للاستنساخ. وفيه فصلان:

الأول: ماهية الاستنساخ.

الثانى: التأصيل الفقهى للاستنساخ.

والباب الثانى تحت عنوان: الجانب التشريعى للإستنساخ. وفيه فصلان:

الأول: الحكم التكليفى للاستنساخ.

الثانى: الحقوق الشرعية للمستنسخ.

وفى الخاتمة أوجز أهم مسائل البحث وأبرز نتائجه.

ولا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر لإدارة الأبحاث بجامعة الكويت لاهتمامها

(١) البصمة الوراثية وعلاقتها الشرعية- للمؤلف.
(٢) الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق للأستاذ عبد الواحد علواني ص١٧٩.

المستمر برسالة البحث وانتقائه، ورعايتها للباحثين من أجل مستقبل أفضل للأمة الإسلامية والعربية فى ظل عصر العولمة.

وشكر خاص لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرزاق الطبطبائى، العميد المساعد لشئون الأبحاث بالكلية لجميل ورقة وحسن معاملته لزملائه، زاده الله خلقاً وفضلاً ورقيا.

هذا والله أسأل التوفيق والسداد لى ولجميع الباحثين والمهتمين بقضايا الأمة الإسلامية، إنه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث: سعد الدين هلالى

الفصل التمهيدى

الإسلام وحدث الاستنساخ

أتكلم فى هذا الفصل عن الاستنساخ والخيال العلمى، ثم تاريخ تجارب الاستنساخ، وجانب من آيات الله فيه، ووجه الإعجاز فى التكاثر الجنسى، وأخيراً الرؤية الشرعية والأخلاقية للاستنساخ، ورؤيتنا البحثية فيه وذلك فى خمسة مباحث على الوجه الآتى.

المبحث الأول

الاستنساخ والخيال العلمى

يسبق النجاح العلمى غالباً خيال الأدباء، وأعتقد أن الإبداع فى أفلام الكرتون فى العصر الحديث سيحدث ثورات علمية وهزات اجتماعية فى المستقبل القريب. ويؤكد هذا المعنى ما قاله"ألفريد فيلوشى" عمدة مدينة كمبردج الأمريكية، فى تعليقه على أبحاث الهندسة الوراثية التى تحدث فى أروقة جامعة"هارفارد" بقوله: إن الله وحده يعرف ماذا يمكن أن يزحف علينا من هذه المعامل القريبة، إذ قد يخرج منها وباء مدمر لا يستطيع أحد أن يجد له علاجاً، أو ربما ينطلق منها يوما"غول" رهيب، ثم يتساءل العمدة فيلوشى بغضب: هل يسعى العلماء حقاً إلى تحقيق حلم مؤلف رواية"فرانكشتاين الخيالية، وجعلها حقيقة واقعة من خلال هذه البحوث التى يجب أن تذهب إلى الجحيم.(١)

(١) الإستنساخ والإنجاب للدكتور كارم السيد غنيم ص١٥٢.

هذا، وقد ظهرت قصص الخيال العلمي التي تتحدث عن الاستنساخ منذ عشرات السنين، يقول الدكتور عبد الهادى مصباح: بدأت قصص الخيال العلمي تتحدث عن نسخ الإنسان منذ٦٥ عاماً، عندما كتب"الدوس هاكسلى" رواية بعنوانNew World Brave أى عالم جديد شجاع، وفيها تخيل أنه يمكن اقتسام النطفة لعمل نسخ من الإنسان، ومن خلال ذلك يستطيع تقسيم البشر إلى طبقات عليا ودنيا حسب صفاتهم الجسمية والذهنية والعقلية، وإعطاء كل طبقة ما يناسبها من عمل للوصول إلى عالم جديد مثالى.

وفى عام ١٩٥٨م نشرت رواية"تشارلز إيريك" بعنوان"عالم بلا رجال"World Without Men وبعدها رواية"بول أندرسون" بعنوان"كوكب العذارى"Virgin Planet وفيهما يتخيل الكاتبان أنه سوف يأتى الوقت الذى يتمكن فيه العلماء من أن يستنسخوا الأولاد من المرأة، دون الحاجة إلى الرجل، ذلك الكائن المتسلط الأنانى. وتشرح القصتان كيف يمكن للنساء أن تعيش على كوكب الأرض بدون رجال.

وفى عام ١٩٧٣م نشرت قصة للكاتبة الأمريكية"تانسى فريدمان" بعنوان"جوشوا ابن لا أحد" وتتناول فيها كيف أمكن عمل نسخ من الرئيس الأمريكى الراحل"جون كيندى" بعد اغتياله.(١)

وفى عام ١٩٧٦م صدرت رواية تحولت إلى فيلم سينمائى بعنوان"رجال عديدون"Multiple Men وفيها يتم نسخ من الرئيس الأمريكى على سبيل التمويه من أجل أمنه وحمايته، إلا أنهم يفاجئون بموتهم جميعاً، ويحتارون إن كان الرئيس موجود فى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض هو الرئيس الأصلى، أم أنه النسخة المقلدة، بعد أن يكون قد تم تجنيدها بواسطة مخابرات الأعداء.(٢)

(١)يقول الدكتور كارم السيد غنيم: وفي سنة ١٩٧٣ انتج فيلم"النائم" وهو يحكي قصة أحد الحكام الطواغيت وقد قتل في انفجار قنبلة، ولم يتبق منه سوي أنفه، فحاول أتباعه أن ينتجوا من هذه الأنف نسخة من زعيمهم المفقود- الاستنساخ والإنجاب ص٤٤.

(٢) وفي عام ١٩٧٧م صدر للكاتب ديفيد رورفيك رواية "علي صورتهIn his image يحكي فيها قصة مليونير أمريكي سعي من أجل إنتاج طفل صورة مطابقة لأصل شخصيته، وقد نجح العلماء في هذا الاستنساخ والإنجاب،ص٤٤.

وفى عام ١٩٧٨م مثل" جريجورى بيك" رواية"أولاد من البرازيل"The Boys From Brazil تأليف"إيراليفين" وفيه يحاول النازيون استنساخ ٩٤ ولداً من الخلايا التى أخذوها من جلد وشعر هتلر ساعة وفاته، وبالفعل ينشأ هؤلاء الصبية صورة أخرى من الزعيم النازى، إلا أن المتآمرين يفشلون فى شحنهم بكل خصائص الشر والتدمير التى كانت بداخل هتلر، فباءت خطتهم بالفشل.(١)

وفى عام ١٩٩١م عرض التلفزيون البريطانى فيلماً عن رواية بعنوان:

The Cloning Of Joanna May أو "استنساخ جوانا ماى"لفاى ويلدون بانجلترا، وتتناول قصة رجل اكتشف خيانة زوجته التى كان يعشقها ويحبها فقرر التخلص منها، بعد أن استنسخ صورة أخرى منها، لكى تظل صورتها أمامه، ويحتفظ بها دون أن يشعر إنها تلك المرأة التى خانته وفضلت رجلاً آخر عليه.

وفى عام ١٩٩٣م تم تصوير فيلم"حديقة الديناصورات" المسمىJurassic Park وهو يتناول طريقة الاستنساخ من خلال تكبير الحامض النووى الموجود فى بيض الديناصورات التى انقرضت منذ ٦٠ مليون عام للحصول على تلك الديناصورات من جديد، ونرى ما يمكن أن تحدثه من تدمير على كوكب الأرض الآن.

والرواية الكوميدية الوحيدة التى تناولت موضوع الإستنساخ بشكل كوميدى ضاحك، هى تلك التى مثلها الممثل والمخرج الشهير"وودى آلان" وتتناول قصة ديكتاتور العالم، وفى النهاية تم قتله، والتخلص منه ولم يبق منه سوى أنفه التى حاول مساعدوه أن يأخذوها لكى يصنعوا نسخة أخرى منه، كى يعيدوا أمجاده وفتوحاته، إلا أن"وودى آلان" يخطف الأنف كرهينة، ويدور الفيلم فى شكل مغامرات كوميدية

(١) وفي عام ١٩٧٨م قدم الكاتب الأمريكي"دافيد رورفيك" روايته بعنوان"تناسخ الأجساد" وتناولت هذه القصة حكاية مليونير أمريكي هو"ماكس" يقوم بالاتفاق علي تنفيذ فكرة الاستنساخ بهدف انتاج وريث له، ويوضح النقاد أن المؤلف لهذه الرواية مزج العلم بالأدب ونقل الحقائق العلمية نقل المحيط بها علماً مع قدرته الروائية الفائقة.
وفي سنة ١٩٨١م صدر كتاب"مارسيل بلانك" بعنوان"استنساخ الثدييات هل يكون للإنسان أيضا" انظر استنساخ الإنسان حياً وميتاً للدكتور/سينوت حليم دوس ص٢٥، الإستنساخ والإنجاب ص٤٥.

للحصول على تلك الأنف من أجل عمل نسخة جديدة من الديكتاتور.

وفى عام ١٩٩٦م مثل "مايكل كيتون" رواية بعنوان "التعددية Multi Plicity عن شخص تم استنساخه، ويتناول الفيلم العلاقة بين التوأمين. (١)

المبحث الثانى
تاريخ تجارب الاستنساخ

مرت تجارب الإستنساخ بعدة محاولات تعد فى الحقيقة تاريخاً لمراحل هذا الحدث العلمى، وساعد على القيام بتلك المحاولات نجاح العلماء فى بعض طرق التكاثر غير الطبيعى، مما يجعلنا نعد تلك النجاحات الأخيرة من مراحل اكتشاف الاستنساخ.

وقد اهتمت الكتب التى تتحدث عن الإستنساخ بعرض موجز لتاريخ تلك التجارب لتأصيل هذا الحدث العلمى، وقد رأيت من الإستحسان الأخذ بهذا النهج فى التقاط التالية. (٢)

١- فى عام ١٩٤٤م أعلن عن نجاح أول محاولات لإحداث إخصاب خارج الرحم.

٢- وفى عام ١٩٤٩م أعلن عن اكتشاف (الجليسرول) الذى يستخدم فى الاحتفاظ بالحيوانات المنوية مجمدة.

٣- وفى عام ١٩٥٠م أعلن عن نجاح لأول تجميد للحيوانات المنوية للثيران من أجل التلقيح متأخراً فى الأبقار مع انتقاء نوعيات عالية منها (عند درجة ٧٩م).

(١) الإستنساخ بين العلم والدين ص٢٠-٢٢ وانظر أيضا الإستنساخ والإنجاب للدكتور كارم السيد غنيم، ص٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٢) الاستنساخ بين العلم والدين للدكتور/ عبد الهادي مصباح ص٢٣، ٢٤. استنساخ الإنسان حياً وميتاً للدكتور/ سينوت حليم دوس ص٢٥-٢٧. الهندسة الوراثية للجميع تأليف وليام بيتر ترجمة الدكتور مستجير ص١٥٧ وما بعدها.

٤- وفى عام ١٩٥١م أعلن عن نجاح إحداث الحمل فى بقرة، ثم نقل النطفة إلى رحم بقرة أخرى.

٥- وفى عام ١٩٥٢م أعلن عن ولادة أول عجل باستخدام الحيوانات المنوية المجمدة.

٦- وفى ذات العام ١٩٥٢م أعلن عن نجاح أول محاولة لاستنساخ ضفدعة من التقاء بويضة الضفدعة بخلية من أبى ذنيب، وكان ذلك على يد العالم "روبرت برجرز" والعالم "توماس كينج" وتعتبر هذه أول محاولة للإستنساخ باستخدام خلايا جينية وليست خلايا جسدية بالغة، كما فى حالة النعجة "دوللى".

٧- وفى عام ١٩٥٩م أعلن عن نجاح ولادة أول أرنب بطريقة أطفال الأنابيب (الإخصاب خارج الرحم).

٨- وفى عام ١٩٧٠م أعلن عن نجاح عملية استنساخ الفئران من الأجنة المخصبة.

٩- وفى عام ١٩٧٢م أعلن عن نجاح ولادة أول طفلة أنابيب "لويز براون" فى بريطانيا بواسطة الدكتور "باتريك ستبتو" والدكتور "إدوارد".

١١- وفى عام ١٩٧٩م أعلن عن نجاح استنساخ الأغنام لأول مرة من حيوان منوى وبويضة بطريقة الإستنساخ الجنسى، حيث حقن العالم "سيتلز" بجامعة كولومبيا بويضة مفرغة الهواء بحيوان منوى وحصل على "البرميولا".

١٢- وفى عام ١٩٨٠م أعلن عن نجاح استنساخ الماشية لأول مرة من حيوان منوى وبويضة بطريقة الإستنساخ الجنسى. كما أعلن العالم "أيلمنسى" والعالم "بيتر هوب" فى استنساخ خلايا أجنة الفئران.

١٣- وفى عام ١٩٨٣م أعلن عن ولادة أول طفلة نتجت من التقاء الحيوان المنوى لأب وبويضة من سيدة أخرى متبرعة عن طريق الحمل خارج الرحم، ثم وضع الجنين فى رحم الزوجة.

١٤- وفى عام ١٩٨٤م أعلن عن نجاح ولادة أول طفلة استرالية تدعى"زوى" من جنين مخصب مجمد.

١٥- وفى عام ١٩٨٥م أعلن عن نجاح ولادة أول حيوان(خنزير) يحمل الجين الآدمى الذى يمكنه من إنتاج هرمون النمو الآدمى لعلاج الأقزام وقصار القامة.

١٦- وفى عام ١٩٨٦م أعلن عن نجاح عملية إخصاب حيوان منوى من رجل وبويضة من امرأة وزرعها فى رحم امرأة أخرى تدعى"مارى بيث". فى نيوجيرسى بأمريكا لكى تحمل الجنين ٩ أشهر ثم تسلمه لأهله، وقد حاولت الأم التى حملت الجنين رفع قضية تطالب فيها بحقها فى رعاية وحضانة الابن المولود، ولكن المحكمة رفضت، وتم تسليم الجنين للأم والأب الذى ينتمى إليهما بيولوجياً.(١)

١٧- وفى عام ١٩٩٣م أعلن عن نجاح أول تجربة لإستنساخ الأجنة فى جامعة جورج واشنطن الأمريكية من النطفة التى تم تلقيحها من عدة حيوانات منوية وبويضة بواسطة الدكتور ستيلمان والدكتور هول وقد عاشت لمدة ستة أيام.

١٨- وفى عام ١٩٩٦م أعلن عن نجاح أول تجربة للإستنساخ الجسدى(اللاجنسى) وولادة النعجة دوللى باستخدام خلية من ثدى نعجة وبويضة خالية من النواة، ووضعها فى رحم نعجة ثالثة، وقد أعلن عن هذا الكشف بعد ولادة دوللى بثمانية أشهر.

١٩- وفى عام ١٩٩٦م أعلن عن ولادة أول توأم من قرود الريزوس، وقد سميا "نيتو"و"ديتو" وهما من أقرب الثدييات للإنسان بطريقة الإستنساخ الجنسى، وقد تم الكشف عن هذا فى مارس عام ١٩٩٧م بعد إتمام نجاحه بعدة أشهر وبعد الإعلان عن دوللى بأسبوع.

(١) وفي عام ١٩٨٦م استطاع العالم الأمريكي"نيل فرنست" أن يزرع الأجنة في الزجاج.I.V.F دكتور سينوت حليم في كتابه استنساخ الإنسان ص٢٦.

من كل ما سبق يتضح أن العلماء ماضون فى تجاربهم التى باتت تؤكد حقيقة الاستنساخ العلمية.

يقول الدكتور كارم السيد غنيم: تذكر الصحف والمجلات أن أجهزة المخابرات العالمية تضع ستاراً حديدياً على معامل الأبحاث التى تملكها وذلك "لتحضير أرواح" بعض السفاحين السابقين والحاليين، وتسخر من أجل الوصول إلى نسخ هؤلاء الأشخاص عشرات العلماء المتخصصين، ومن أشهر هذه الأجهزة المخابرات الأمريكية التى خصصت منذ عام ١٩٩٢م معامل أبحاث للتوصل إلى تنفيذ هذه الفكرة وتحقيق هذا المطلب. وهى أبحاث تجرى على جنود أجهزة المخابرات، وإن كانت هذه الأبحاث قد توقفت حالياً بصفة مؤقتة بسبب القرار السياسى الذى أصدره الرئيس الأمريكى بل كلينتون. بوقف أية محاولات لاستنساخ البشر.(١)

المبحث الثالث

الاستنساخ وآيات الله فى الإنسان

إذا كان الاستنساخ بتعبير مبسط هو وسيلة من وسائل التكاثر، تعتمد على استزراع خلية بشرية لتصير إنساناً يتطابق فى صفاته الوراثية مع صاحب الخلية، الأمر الذى يمكن معه تصور وجود إنسان بدون أب- كما لو كانت الخلية المستزرعة من الأم صاحبة الرحم، وفى هذه الحال يكون المولود أنثى قطعاً- كما يمكن تصور وجود إنسان بدون أم- كما لو كانت الخلية المستزرعة من رجل فى رحم صناعى أو رحم حيوان، وفى هذه الحال يكون المولود ذكراً قطعاً.

(١)الاستنساخ والإنجاب، ص٤٥.

إذا كان الاستنساخ بهذا المفهوم البسيط فإنه كالنذير لأصحاب العقول المتبلدة تجاه الإيمان بالخالق سبحانه الذى ما يزال يستثير العقل فى التأمل فى الكون والبحث فى ناموسه للإقرار بوحدانية الله تعالى فى قوله سبحانه"**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**؛[1] وفى قوله جل شأنه: "**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد، إلا أنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط**".[2]

إن الاستنساخ يؤكد حقيقة انفراد الله تعالى بالخلق، الذى هو إيجاد من عدم، فلا يمكن الاستنساخ إلا من خلية مخلوقة، كما أنه لا يمكن التوالد إلا من نطفة مخلوقة، فماء الحياة مخلوق لله سبحانه، ثم لا ضير أن يسلك طريق الاستنساخ أو أن يسلك طريق التوالد الطبيعى.ويدل على مرجعية ماء الحياة لله سبحانه وانفراده بخلقه آيات كثيرة، منها قوله تعالى:"**نحن خلقناكم فلولا تصدقون. أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون. نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون**"[3]، وقوله تعالى:"**وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**"[4].

ويدل على طريقة التكاثر بالتوالد الطبيعى آيات كثيرة منها قوله سبحانه "**فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين**"[5]

ويدل على طريقة التكاثر بغير التوالد الطبيعى ما ذكره الله تعالى فى قصة خلق حواء من آدم عليه السلام، وذلك فى قوله سبحانه:"**هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**"[6] يقول ابن كثير: ينبه تعالى فى هذه الاية على أنه خلق جميع الناس من ادم عليه السلام، وأنه خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منهما.[7]

(١)سورة الذاريات، الاية ٢١.
(٢) سورة فصلت، الآيتان ٥٣، ٥٤.
(٣) سورة الواقعة، الأيات ٧٥-٦٢.
(٤) سورة الفرقان، الأية ٤٥.
(٥) سورة الأعراف، عجز الأية ١٨٩.
(٦) سورة الأعراف صدر الآية ١٨٩.
(٧)تفسير ابن كثير ٣٦٤/٢

وقوله تعالى: "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**"[1] يقول ابن كثير: يقول الله تعالى آمراً خلقه بتقواه، وهى عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة، وهى آدم عليه السلام"**وخلق منها زوجها**" وهى حواء عليها السلام، خلقت من ضلعه الأيسر، من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه.[2]

كما يدل على طريقة التكاثر بغير التوالد الطبيعى ما ذكره الله تعالى فى قصة خلق عيسى عليه السلام، وذلك فى قوله تعالى:"**إن مثل خلق عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**"[3] يقول ابن كثير: يقول جل وعلا:" **إن مثل عيسى عند الله**"فى قدرة الله حيث خلقه من غير أب "**كمثل آدم**" حيث خلقه من غير أب ولا أم. بل"**خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**" فالذى خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريقة الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء فى عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها فى عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى.[4]

غير أن طريقة التكاثر بغير التوالد الطبيعى فى قصتى حواء وعيسى عليهما السلام ليست على سبيل الاستنساخ المعروف، لأن حواء من آدم، وعيسى من مريم، والاستنساخ يستلزم أن يكون المستنسخ بنفس صفات وطبيعة الأصيل، بمعنى أن يكون أنثى مثله، أو ذكراً مثله، الأمر الذى يجعل خلق كل من حواء وعيسى من آيات الله وإعجازه، ولذلك قال تعالى عن مريم عليها السلام"**قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً**"[5].

(١) سورة النساء صدر الأية الأولي.
(٢) تفسير ابن كثير ٥٩٦/١.
(٣) سورة آل عمران، الأية ٥٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٤٨٩/١.
(٥) سورة مريم، الآيتان ٢٠،٢١.

المبحث الرابع

الاستنساخ والإعجاز فى التكاثر الجنسى

تقوم فكرة الاستنساخ على استزراع خلية بشرية كاملة الخلقة(٤٦ كروموزوماً) بوضعها فى بويضة المرأة بعد تفريغها وإيداعها ثانية فى الرحم، فهو طريقة للتوالد اللاجنسى، ألغى فيه دور الذكر فى تكوين الفرد.

أما التوالد الجنسى فيقوم على فكرة تكوين الخلية من زوجين متباينين ثم استزراعها، أما تكوين الخلية فمن الحيوان المنوى(الذى يحتوى على ٢٣ كروموزوماً معيناً) وبويضة المرأة(التى تحتوى على ٢٣ كروموزوماً معيناً) ليتكون من الزوجين الخلية بعددها الكامل(٤٦ كروموزوماً) ولا يعنى كروموزوم عن آخر. بل يجب أن يتكون هذا العدد بترتيب دقيق مقصود، يتم بإرادة الله تعالى فى رحم المرأة، ثم تبدأ رحلة التخلق.

مما سبق يتضح أن التكاثر الجنسى أعقد من التكاثر اللاجنسى بالاستنساخ لأن التكاثر الجنسى يمر بمرحلتين مرحلة تكوين الخلية من زوجين ثم مرحلة التخلق أو الاستزراع. أما التكاثر اللاجنسى بالاستنساخ فيمر بمرحلة واحدة هى التخلق أو الاستزراع للخلية الكاملة التكوين، وأكثر ما نواه ظاهراً فى النبات.

كما أن التكاثر الجنسى يعنى أساساً ليس فقط بتجديد الذخيرة الوراثية وإنما التنوع أيضا وهذا هو الأهم، بخلاف التكاثر اللاجنسى الذى لا يعنى إلا بتجديد الذخيرة الوراثية.

ولما كان التكاثر الجنسى فيه من الإعجاز والمصلحة لإعمار الأرض فقد جعل الله مسألة زوجية الأشياء وعدم فرديتها مسألة كونية، فكل شئ يوجد فى صورة زوجية.

يقول الدكتور عبد الباسط الجمل: والزوجية فى الحياة تعنى التكامل، بمعنى أن الزوجين يكمل كل منهما الآخر، ومن ثم فلكل شئ زوجته، لأن كل شئ لابد له من

مكمل، ولو استعرضنا بعضاً من صورة هذه الزوجية فى الكون سنجد فى الجانب اللاحياتى(عالم الجمادات) ما يأتى:

١- فى الكهربية: الشحنة الموجبة والشحنة السالبة.

٢- فى المغناطيسية: القطب الموجب، والقطب السالب،

٣- فى المركبات الكيميائية المتأينة: الأيون الموجب، والأيون السالب.

٤- فى المركبات الكيميائية غير المتأينة: الشق الحامض والشق القاعدى.

وكل شئ لو تأملناه لوجدناه متواجداً فى صورة زوجية.

أما لو استعرضنا الجانب الحياتى(الكائنات الحية) فسنجد هذه الزوجية واضحة تماماً. ففى الجوارح الظاهرة سنجد العينين، والأذنين، واليدين، والرجلين، حتى فى الأجهزة الداخلية سنلاحظ هذه الزوجية ففى القلب (التابع للجهاز الدورى) سنجد أذنين وبطنين، وفى الرئة (الجهاز التنفسى) سنجد رئة يمنى ورئة يسرى، وفى الكلية(الجهاز البولى) سنجد كلية يمنى وكلية يسرى، وفى الجهاز التناسلى سنجد الخصيتين فى الذكور، والمبيضين فى الأنثى.

ولو لاحظنا الخلية فى انقسامها سنجد أن ناتج انقسامها خليتين، وهكذا نجد الزوجية فى كل شئ صغير وكبير.

ولكن ما هى صور الزوجية التى يمكن لنا ملاحظتها من خلال المادة الوراثية موضوع حديثنا؟

لو تأملنا الصبغيى(الكروموسوم) وهو الذى يحمل الجين سنجده يتكون من كروماتيدين متصلين بنقطة تسمة(السنترومير) والجينات توجد على الكروموسوم فى أزواج المادة الوراثية الدناDNA زاخرة بصورة الزوجية التى من الممكن ملاحظتها، وعلى سبيل المثال: الدنا عبارة عن شرطين متكاملين عن طريق تكامل أزواج القواعد النتروجينية فى كل شريط، ولا يخلو الدنا من هذه الظاهرة.

ومن بديع الآيات فى هذه الزوجية أن وسائل الإصلاح(المجموعة الأنزيمية المسماة

بأنزيمات الإصلاح) لا تعمل إلا فى وجود هذه الزوجية التكاملية البديعية، فإن لم توجد تصبح عمليات الإصلاح مستحيلة. وبالتالى فوجود الزوجية هادف، وليس وجودها عبثاً، ولهواً، بل وجدت لا لهدف ولكن لأهداف عديدة بعضها قد يكون واضحاً لنا والكثير ما زال غير واضح.

فمسألة الزوجية إذن مسألة كونية عامة، سواء على المستوى الحياتى أو اللاحياتى، وهذا ما أثبته العلم بأجهزته الدقيقة حديثاً[١].

وفى إعجاز فكرة الزوجية آيات قرآنية كثيرة عرفها المسلمون منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، قبل أن يعرف العلم الحديث بعض أسرارها، من ذلك قوله تعالى: "**وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**"[٢] وقوله تعالى: "**ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين**"[٣] وقوله تعالى: "**والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون**"[٤] وقوله تعالى: "**ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**"[٥]، وقوله تعالى: "**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**"[٦]، وقوله تعالى: "**أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**"[٧]

فلن يزال إعجاز التكاثر فى التزاوج إلى قيام الساعة.

(١) أسرار علم الجينات للدكتور عبد الباسط الجمل ص١٢٢-١٢٥.
(٢) سورة الرعد، الآية٣.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان ١٤٣،١٤٤.
(٤) سورة الزخرف، الآية ١٢.
(٥) سورة الذاريات، الآية ٤٩.
(٦) سورة النجم، الآية ٤٥.
(٧) سورة القيامة، الآيات ٣٦-٤٠.

المبحث الخامس

الاستنساخ والرؤى الشرعية والأخلاقية فى المؤتمرات والمنظمات والمجامع الفقهية والقرارات السياسية ورؤيتنا البحثية

أثار موضوع الإستنساخ منذ فبراير ١٩٩٧م يوم إعلان ولادة النعجة دوللى بطريق الاستنتاخ إلى يومنا هذا، زلزالاً فى الأوساط الأخلاقية والدينية فى مختلف العقائد والأديان، وإن اتفق الجميع على أنهم ليسوا ضد العلم ولا التقدم العلمى، ولكنهم مع ذلك حذروا من سوء استخدام العلم بما يعود بالإساءة للجماعة الإنسانية.

ومن المناسب هنا تسجيل التوجهات والرؤى الشرعية والأخلاقية المتمثلة فى القرارات السياسية، وتوصيات المؤتمرات والمنظمات والمجامع الفقهية والعالمية، والتى كانت بمثابة ردود فعل لهذا الحدث العلمى الخطير الذى نجح اجراؤه كتجربة وليس كظاهرة فى النعجة دوللى، ولما ينجح بعد فى تجارب نسخ الإنسان، لبيان مدى الفزع الذى انتاب الناس على مستوى الكرة الأرضية، ثم أبين رؤيتنا البحثية فى هذا الموضوع الهام.

ويمكننى تبويب تلك القرارات والتوصيات على الوجه الآتى بإذن الله تعالى، غير أنه تجدر الإشارة إلى أن ما سأثبته ليس استقصاء، وإنما هو جملة مما صدر فى هذا الشأن.

أولاً: القرارات السياسية بشأن الإستنساخ البشرى:

كانت القرارات السياسية هى أسرع ردود فعل لحدث الاستنساخ الذى أعلن عن نجاحه فى الاسبوع الأخير من فبراير ١٩٩٧م، وكادت تجمع تلك القرارات على حظر تجارب الاستنساخ على الإنسان، وتشددت بعضها ليشمل حظر تجارب الرستنساخ على الإنسان والحيوان على السواء.

وأذكر فيما يلى أهم وأشهر تلك القرارات:(١)

١- فى مارس ١٩٩٧م دعا الرئيس "بل كلينتون" المؤسسات الاتحادية الأمريكية إلى وقف تمويل بحوث الاستنساخ البشرى، وتوجيه العلماء الأمريكان إلى الامتناع عن استئناف نشاطهم فى هذا المجال، وطلب من اللجنة الوطنية للأخلاقيات الحيوية National Bioethics Advisory Commission إجراء دراسة شاملة عن المشاكل القانونية لهذا الموضوع. وطلب "كلينتون" مهلة لوقف هذه التجارب بصورة طوعية حتى تتم تسوية مشكلة(تعارض التجارب العلمية مع المبادئ الدينية والأخلاقية) مشيراً إلى أهمية استخدام الخلايا فى علاج الأمراض دون الدخول فى دائرة المحظور دينياً.

٢- دعى أعضاء البرلمان البريطانى بعد الإعلان عن مولد النعجة دوللى بأيام، لعقد اجتماع عاجل لبحث تشديد القوانين الموجودة، أو إصدار قوانين جديدة لسد الثغرات التى يحاول أن ينفذ منها العلماء للاستمرار فى تجارب نسخ الإنسان، وقد طلب أعضاء مجلس العموم البريطانى تحويل أعضاء الفريق البحثى فى اسكتلنده إلى التحقيق، وهو الفريق الذى نجح فى استنساخ الحيوانات الثديية(الأغنام) وحاول صرف الأنظار عنه عندما أعلن أعضاؤه أنهم لا يفكرون فى تطبيق أو ممارسة هذه التقنية الجديدة على البشر.

وقال العالم الإنجليزى الدكتور"إيان ويلموت": صحيح أن تقنية الاستنساخ أصبحت متاحة، لكنى أدعو للسيطرة عليها، فأنا أعتقد أن استعمال هذه التقنية مع البشر عمل غير إنسانى تماماً، وأدعو القوانين للعمل من خلال الأمم المتحدة لإعداد مشاريع "قوانين" بهذا الخصوص. وخاصة فيما يتعلق باستنساخ البشر.

وقد نشرت جريدة الأهرام بالقاهرة يوم ١٩٩٧/٣/٦م ما يلى: طالب أعضاء مجلس العموم البريطانى أمس بإصدار قانون عاجل يحظر أية محاولة علمية لتخليق نسخ بشرية، وذلك بعد أن اشتدت حدة الجدل حول قدرة الهندسة الوراثية على

(١) انظر تلك القرارات في الاستنساخ والإنجاب للدكتور/ كارم السيد غنيم ص١٤٩ وما بعدها.

استنساخ الخلايا التى تؤدى إلى تخليق أجناس من الحيوانات: هذا، وقد تقررت وزارة الزراعة فى بريطانيا وقف تمويل أبحاث الاستنساخ على الأغنام.

٣- طالب الرئيس الفرنسى"جاك شيراك" اللجنة الاستشارية الوطنية المختصة بأخلاقيات المهن بدراسة اللوائح لمنع تجارب الاستنساخ البشرى والتعجيل بذلك، وعدم الانتظار إلى عام ١٩٩٩م، وهو الموعد الذى كان مقرراً أن تجتمع فيه هذه اللجنة، وقال وزير الدولة الفرنسى لشئون البحوث العلمية: الاستنساخ البشرى لا مجال للتفكير فيه.

٤- بدأت الحكومة فى البرتغال بإعداد قوانين تحرم عمليات الاستنساخ البشرى.

٥- أكد وزير البحث العلمى والتكنولوجيا فى ألمانيا عدم السماح بممارسة هذه التقنية، وأنه لن يكون هناك استنساخ بشرى مطلقاً. كما أكد أن ٨٠٪ من الشعب الألمانى يرفض تطبيقها على المستوى البشرى، بعدما عانوا كثيراً من فشل التجارب التى مارسها بعض العلماء الألمان فى ظل السيطرة النازية لاستنساخ سلالة بشرية متميزة الصفات.

٦- فى كندا وضع مشروع مقترح على البرلمان، ورد فى بنوده:

١) منع استنساخ أو تقسيم اللاقحة أو الجنين البشرى.

٢) منع إخصاب بويضة امرأة بحيمن من حيوان.

٣) منع دمج لاقحة بشرية بلاقحة حيوانية.

٤) منع غرس جنين ادمى فى بطانة رحم حيوان أو العكس.

٥) منع العلاج بالمورثات فى البويضات أو الحيمنات أو اللاقحة أو الجنين.

٦) يتضمن العلاج بالمورثات إضافة مورثة تعالج مورثة سيئة الأثر لدى الشخص.

٧) منع أخذ بويضات أو حيمنات من جنين أو من جثة لاستخدامها فى إنتاج أجنة بشرية.

٨) منع فصل الحيامن(الحيمنات) س ص(XY) بغرض تأكيد جنس الجنين.

٩) منع تشخيص جنس الجنين فى بطن أمه إلا لكشف أسباب مرضية.

١٠) منع تلقيح أو إخصاب بويضة امرأة خارج الجسم لأغراض البحوث.

١١) منع استئجار الأرحام.

٧- وقعت عشرون دولة أوربية فى أوائل أبريل ١٩٩٧م اتفاقاً، يعتبر أول معاهدة دولية للسيطرة على البحوث التعلقة بالهندسة الوراثية فى الإنسان واستنساخه. حدث هذا فى مدينة(أوفيدا) بأسبانيا فى مؤتمر"حقوق الإنسان والطب الحيوى" وتقرر فى هذا المؤتمر منع استخدام تقنيات الهندسة الوراثية لأية أغراض ما عدا الطبية. ووقعت على هذا الاتفاق دول غرب ووسط أوروبا، ومنها فرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا، ولكن ألمانيا رفضت التوقيع قائلة:"إن المعاهدة ليست حازمة بالقدر الكافى"، كما أن الانتخابات البريطانية فى تلك الفترة منعت بريطانيا من التوقيع على هذا الاتفاق، واحتفظت الولايات المتحدة واليابان وكندا والفاتيكان بحق التوقيع على هذا الاتفاق.

ثانياً: إعلانات المنظمات العالمية:

أعلنت منظمة الصحة العالمية، التابعة للأمم المتحدة، أن أية محاولة لاستخدام تكنولوجيا الاستنساخ الجديدة فى عمل نسخ متطابقة من البشر غير مقبولة. ولم تؤيد المنظمة هذه التجارب لأنها تخالف المبادئ الأساسية للولادة، وأكدت احترام كرامة الإنسان وحماية الموروثات البشرية. وأدان الدكتور"هيروشى ناكاجيما" المدير العام للمنظمة، استنساخ البشر، وقال: إن معارضة الاستنساخ البشرى لا تعنى فرض حظر شامل على كل إجراءات الاستنساخ وأبحاثه، بل إن استنساخ الخطوط الموروثة للخلية الإنسانية إجراد روتينى فى إنتاج الأضداد وحيدة الخلية للتشخيص والبحوث المتعلقة بالأمراض كالسرطان، فالبحث العلمى فى استنساخ الحيوانات وفصائلها المختلفة التى تغير موروثاتها(جيناتها) قد يحقق فوائد من بينها التطبيقات العلاجية. وعلينا التنبيه لنتائجها السلبية المحتملة، مثل انتقال الأمراض السارية من فصيلة إلى أخرى، ثم إلى

الإنسان.(١)

وفى اجتماع مجموعة المراجعين العلمية والأخلاقية رقم ٣٥ والمنبثق عن البرنامج الخاص المشترك بين منظمة الصحة العالمية والبنك الدولى وصندوق الأمم المتحدة للسكان، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، للبحث والتطوير والتدريب على البحوث فى مجال الإنجاب البشرى، والمنعقد فى جنيف أبريل ١٩٩٧م انتهى إلى التقرير التالى:

استهدف الإجتماع الذى استغرق يوماً واحداً الأمور التالية:

١- دراسة القضايا التقنية والأخلاقية والسياسية العامة المتصلة بالاستنساخ البشرى.

٢- تحديد الموضوعات والمتحدثين وأوراق البحوث التى ستقدم فى اجتماع لاحق تعقده منظمة الصحة العالمية.

٣- إعداد تقرير يستخدم كخليفة معلومات لجمعية الصحة العالمية.

وقد شارك فى هذا الإجتماع أعضاء مجموعة المراجعة العلمية والأخلاقية التابعة للبرنامج الخاص للبحوث والتنمية والتدريب على البحث فى مجال الإنجاب البشرى، ومتحدثون من خارج المجموعة دعوا لتقديم مطالعاتهم حول جوانب العلم والأخلاقيات والسياسة العامة فى قضية الاستنساخ البشرى، كما شارك فى الاجتماع أعضاء الآمانة.

ولم يكن المقصود من هذا الاجتماع الذى استغرق يوماً واحداً التوصل إلى نتائج قاطعة حول الجانب الأخلاقى من الاستنساخ البشرى، وإنما كانت الغاية هى إجراء استقصاء أولى لأهم جوانب القلق التى تستحق دراسة وتحرياً أكثر استيفاءً فى المستقبل القريب. إلا أنه على الرغم من ذلك فقد أجمع المشتركون فى نهاية الاجتماع على أنه فى ضوء العديد من التساؤلات التى لا تزال فى حاجة إلى إجابات شافية، والعديد من القضايا التى ينبغى التحاور بشأنها ومناقشتها ليس من الحكمة، بل من غير المجدى فى هذا الوقت بالذات أن تتجه الآراء إلى فرض حظر دولى على جميع أنشطة

(١) الاستنساخ والإنجاب للدكتور كارم السيد غنيم ص١٥١.

الاستنساخ البشرى، ففرض حظر على المشرع قد يؤدى إلى ضياع الكثير من الفوائد الماثلة والفوائد المحتملة، ولاحظ المشاركون أن أى محاولة لإبرام ميثاق أو معاهدة دولية فى هذا الصدد سوف تكون عين الخطأ. وليس من المهم أن تبادر بلدان أو أقاليم بمفردها إلى المسارعة باتخاذ موقف معين، وإنما المهم هو أن تتصرف منظمة الصحة العالمية بمزيد من العناية، وأن يتم ذلك بالتعاون مع جهات دولية أخرى كالهيئات المعنية التجارية والملكية الفكرية.(١)

ثالثاً: توصيات المؤتمرات والمجامع الفقهية:

لم يقف الفقهاء المسلمون من حدث الاستنساخ موقف المراقبين فحسب، بل سرعان ما عقدوا مؤتمراتهم العلمية، واجتمعوا فى مجامعهم الفقهية، وأصدروا توصيات تعبر عن رؤيتهم الشرعية للحدث، وأوجز فيما يلى توصيات أهم تلك المؤتمرات والمجامع:

١- فى مارس ١٩٩٧م عقدت ندوة بنقابة الأطباء بالقاهرة(٢)، وحضرها الدكتور نصر فريد، مفتى الجمهورية، وانتهت الندوة بالإعلان عن رفض عملية الاستنساخ إسلامياً، لما تؤدى إليه من مخاطر فى مقدمتها اختلاط الأنساب بما لا يتناسب مع ضوابط الإسلام..

ووصف الاستنساخ بأنه جزء من الشطحات العلمية المرفوضة التى تفتح الباب أمام جرائم التزوير وانتحال شخصيات الآخرين، وقد أفتى فضيلة المفتى بجواز استنساخ الأعضاء كالكبد والكلى لإنقاذ حياة الشخص.

بعد انعقاد ندوة نقابة الأطباء سالفة الذكر عقد المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، ندوة حضرها عدد كبير من العلماء من مختلف التخصصات وبحضور الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والدكتور نصر فريد

(١) الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، ملحق رقم ١ ص٢٢٧.
(٢) يراجع في ذلك ملحق كتاب الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، إعداد وتحرير عبد الواحد علواني ص٢٢٧-٢٣٥، الاستنساخ والإنجاب ص١٥٣ وما بعدها، الاستنساخ بين العلم والدين للدكتور/ عبد الهادي مصباح ص٤٩-٥٤.

مفتى الجمهورية، وتم تسجيل وقائع الندوة فى مجلة منبر الإسلام التى تصدر عن المجلس، دون صدور قرار محدد فى هذا الشأن.

ومن أبرز ما قيل فى هذه الندوة ما ذكره الدكتور نصر فريد من أن قضية الاستنساخ لها جانبان. الجانب الأول: ما وقع بالفعل، وهو ما تم استنساخه، أى النعجة دوللى، وما سبقها من استنساخ فى مجال النبات ومجال الحيوان. الجانب الثانى: استنساخ الإنسان، وهو ما لم يقع بالفعل، أو لم يصرح به العلماء الثقات.

وعندما نحكم على عملية الاستنساخ التى وقعت بالفعل من الناحية الفقهية، فإننا نقول: إنه لا تعارض مطلقاً فيما حدث بالنسبة لإستنساخ النعجة دوللى وما يشبهها، لأن ذلك إنما يتعلق بأمر سخره الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان الذى جعله خليفة فى الأرض، وسخر كل ما فى الوجود لصالحه، يقول الله تعالى: "**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه**" (سورة الجاثية الآية ١٣).

أما بالنسبة للإنسان، فإن الاستنساخ لم يقع حتى الآن، ولذلك فإننا نفترض الحكم بعد صدوره، ويقول: ما هى الفائدة التى تترتب عليه؟ تتوقف أغلب المذاهب الفقهية ونقول: إننا لا نحكم على الشئ إلا إذا حدث بالفعل، من الناحية الشرعية، وهناك اتجاه آخر فى المذهب الحنفى أو الأرائيين، أو المذهب الذى يعتمد على الافتراض، وهو قائم وجائز، ولذلك يقولون: إن الحكم ممكن عقلاً تصوره، فإذا تصور العقل وقوعه فيمكن أن يكون الحكم مسبقاً، وهذا من باب التسهيل فى مجال الأحكام الشرعية الفقهية.

وعندما نبحث فى هذا الجانب نقول: ما هى الفائدة من استنساخ الإنسان، إذا سلمنا بوجود فائدة منه فى الحيوان والنبات؟ فى الحقيقة لم نخلص إلى فائدة من عملية استنساخ الإنسان المفترض حدوثها إلا فى مجال التجربة العلمية فقط، بمعنى إثبات قدرة الإنسان على الوصول بعلمه إلى استحداث أمر لم يكن موجوداً من قبل، فكأنه انتصار للجانب العلمى فقط. وفى هذا لا يوجد تعارض من الناحية الشرعية لأن

الإسلام كرم العلم والعلماء ورفع مكانتيهما.. وعندما يتدخل الإنسان فى منهج الخلق فإنه لن يخلق إنساناً إنما هو مجرد تغيير فى منهج الخلق فقط، وهذا التغيير سيؤدى إلى الإفساد لا إلى الإصلاح.

٢- وفى شهر يونيو ١٩٩٧م انعقدت الندوة الفقهية الطبية التاسعة التى عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامى وجهات أخرى فى الدار البيضاء فى الفترة من ٩-١٢ صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤-١٧ يونيو ١٩٩٧م تحت عنوان"رؤية إسلامية لبعض المشاكل الطبية" وقد انتهت الندوة فى مناقشاتها للاستنساخ البشرى إلى ما يلى[١]:

أ- ترى الندوة أن التقنية التى أفضت إلى إنتاج النعجة"دوللى" بإيداع نواة خلية جسدية داخل بويضة منزوعة النواة لتشرع فى الانقسام متجهة لتكوين جنين قد أولتها الندوة بحثاً مستفيضاً وتوسمت بعض النتائج التى تنجم عن تكوين جنين(ثم وليد) جديد يكون نسخة إرثية(جينية) طبق الأصل من صاحب الخلية الجسدية، فلا يمنع من تمام التماثل إلا وجود عدد ضئيل من الجينات فى سيتوبلازم البيضة المستقبلة.

ب- ظهر أن تلك القضية تكتنفها محاذير فادحة إن دخلت حيز التطبيق، من أبرزها العدوان على ذاتية الفرد وخصوصيته وتميزه من بين طائفة من أشباهه(نسخة)، وكذلك خلخلة الهيكل الاجتماعى المستقر، والعصف بأسس القرابات والأنساب وصلات الأرحام والهياكل الأسرية المتعارف عليها على مدى التاريخ الإنسانى، وكما اعتمدتها الشريعة وسائر الأديان أساساً للعلائق بين الأفراد والعائلات والمجتمع كله.

ج- وقد أخذ فى الإعتبار أن الدول الغربية، ومنها التى تجرى فيها أبحاث الاستنساخ، قد كان رد الفعل فيها قوياً على الحذر الشديد، فمنها من منعت زبحاث الاستنساخ البشرى، ومنها من حرمتها من معونة ميزانية الدولة، ومنها من جمدتها سنوات حتى تبحثها اللجان المختصة ثم ينظر فى أمرها من جديد.. وتخشى الندوة أن يسعى رأس المال الخاص وشركات الأدوية إلى تخطى هذا الحظر.

(١) الإستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق- ملحق رقم ٢ ص٢٢٩.

د- أكدت الندوة أن الإسلام لا يضع حجراً ولا قيداً على حرية البحث العلمى.. ولكن الإسلام يقضى كذلك بأن لا يترك الباب مفتوحاً بدون ضوابط.

هـ- وتأسيساً على هذه الاعتبارات التى أجمع عليها الحاضرون، رأى البعض تحريم الاستنساخ البشرى جملة وتفصيلاً، بينما رأى آخرون إبقاء فرصة لاستثناءات حاضرة أو مقبلة إن ثبتت لها فائدة واتسعت لها حدود الشريعة على أن تبحث كل حالة على حدة.

و- وفى كل الأحوال فإن دخول الاستنساخ البشرى إلى حيز التطبيق سابق لأوانه بزمان طويل.. وحتى لا يعيش عالمنا الإسلامى عالة وتبعاً للعالم الغربى فى ملاحقته لهذه العلوم الحياتية الحديثة، أكدت الندوة على أن تكون لدينا المعاهد والمؤسسات العلمية التى تقوم بذلك وفق الضوابط الشرعية.

ز- لم تر الندوة حرجاً فى الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية فى مجال النبات والحيوان فى حدود الضوابط المعتبرة.

هذا، وقد انتهت الندوة للتوصيات التالية:

أولاً: تحريم كل الحالات التى يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية، سواء أكان رحماً أم بويضة، أم حيواناً ، أم خلية جسدية للإستنساخ.

ثانياً: منع الاستنساخ البشرى العادى. فإن ظهرت مستقبلاً حالات استثنائية عرضت لبيان حكمها الشرعى من جهة الجواز أو المنع.

ثالثاً: مناشدة الدول سن التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ البشرى والترويج لها.

رابعاً: متابعة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وغيرها لموضوع الاستنساخ ومستجداته العلمية وضبط مصطلحاته وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة به.

خامساً: الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة فى مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بروتوكولات الأبحاث فى الدول الإسلامية وإعداد وثيقة عن حقوق الجنين.

٣- وفى شهر يوليو سنة ١٩٩٧م انعقد مجلس مجمع الفقه الإسلامى فى دورة مؤتمره العاشر بجدة خلال الفترة من ٢٣-٢٨ صفر ١٤١٨هـ الموافق ٢٨ يونيو ٣ يوليو ١٩٩٧م، وانتهى بعد استماعه للمناقشات التى دارت بشأن الاستنساخ البشرى بمشاركة الفقهاء والأطباء، إلى القرارات التالية[١]:

أولاً: تحريم الاستنساخ البشرى بأى طريقة تؤدى إلى التكاثر البشرى.

ثانياً: إذا حصل تجاوز للحكم الشرعى المبين فى الفقرة أولاً فإن آثار تلك الحالات تعرض لبيان أحكامها الشرعية.

ثالثاً: تحريم كل الحالات التى يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أم بويضة أم حيواناً منوياً أم خلية للإستنساخ.

رابعاً: يجوز شرعاً الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية فى مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان فى حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد.

خامساً: مناشدة الدول الإسلامية إصدار القوانين والأنظمة اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات المحلية أو الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ البشرى والترويج لها.

سادساً: المتابعة المشتركة من قبل كل من مجمع الفقه الإسلامى والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لموضوع الاستنساخ ومستجداته العلمية، وضبط مصطلحاته، وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة به.

(١) الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق- ملحق رقم ٣ ص٢٣٤.

سابعاً: الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة تضم الخبراء وعلماء الشريعة لوضع الضوابط الخلقية فى مجال بحوث علوم الأحياء(البيولوجيا) لاعتمادها فى الدول الإسلامية.

ثامناً: الدعوة إلى إنشاء ودعم المعاهد والمؤسسات العلمية التى تقوم بإجراء البحوث فى مجال علوم الأحياء (البيولوجيا) والهندسة الوراثية فى غير مجال الاستنساخ البشرى، وفق الضوابط الشرعية حتى لا يظل العالم الإسلامى عالة على غيره.

تاسعاً: تأصيل التعامل مع المستجدات العلمية بنظرة إسلامية، ودعوة أجهزة الإعلام لاعتماد النظرة الإيمانية فى التعامل مع هذه القضايا، وتجنب توظيفها بما يناقض الإسلام وتوعية الرأى العام للتثبيت قبل اتخاذ أى موقف.

رابعاً: رؤيتنا البحثية فى الاستنساخ:

رأينا فيما سبق استبعاد أهل الفقه والفكر لوقوع الاستنساخ البشرى حقيقة فى الزمن القريب على الأقل، وأنه لا فائدة كبيرة من البحث فى موضوع هذا شأنه، ومن هنا كان اهتمامهم وتركيزهم فى الحد من التوسع الإستكشافى للإستنساخ، ووضع الضوابط، أو القيود التى تنظم هذا المجال دون أدنى معالجة فقهية لوضع الجنين المستنسخ.

فى الوقت ذاته رأينا تصميم علماء الأحياء، خصوصاً وأن أكثرهم أو جلهم لا ينتمى للإسلام، وعزمهم للبحث قدماً فى استكشاف الاستنساخ البشرى، وقد أعلنت وسائل الإعلام مؤخراً فى أوائل شهر نوفمبر الماضى ١٩٩٩م من توجه أحد علماء البيولوجيا إلى استنساخ الأميرة ديانا، حيث كان عضوا فى لجنة الكشف عليها بعد الحادث الذى صرعت فيه ، وكان قد احتفظ ببعض خلاياها.

لذلك رأيت توجيه بحثى هذا فى جانبين متساويين، الجانب الأول لدراسة فقه

الاستنساخ من حيث بيان ماهيته اللغوية والعلمية، ومن حيث بيان تكييفه الشرعي. والجانب الثانى لدراسة الأحكام التشريعية للإستنساخ من حيث بيان حكم ممارسته ومن حيث بيان الوضع الشرعى للمستنسخ.

وبذلك أكون قد ساهمت فى معالجة هذا الموضوع الهام الذى يحتاج إلى جهود متضافرة لإبراز الرؤية الشرعية الصحيحة، ولعلى أكون أول من يخوض بالبحث الفقهى المتعمق فى وضع المستنسخ من حيث حقوقه الآدمية، والله تعالى أسأل التوفيق والسداد والرشاد.